الإجراءات التي اتخذها الرومان لتأمين الغذاء لسكان روما (العصر الإمبراطوري الأول)

منطقة المغرب القديم أنموذجا

مصباح علي أحمد أسمية[1] ابوبكر جمعة علي الغاير[2]

قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة الزيتونة

ملخص

يشير المفهوم العام لمصطلح الأمن الغذائي إلى توفر الغذاء للأفراد دون أي نقص، وألا يخشى أفراد المجتمع من جائحة الجوع، ولذلك تسعى الدول والمجتمعات لإنتاج غذائها بما يتعادل مع الطلب على استهلاك هذا الغذاء، ويجب عليها تحقيق ذلك بكل الطرق والسبل، سوى بالإنتاج أو بالتعاون مع مجتمعات أخرى أو الدخول في الحروب واستعمار أراضي جديدة.

وكما كان الأمن الغذائي هو هاجس الشعوب الحاضرة، كان هاجسا مؤرقا للشعوب والحضارات القديمة، ومن هذه الحضارات الحضارة الرومانية التي تعد أحد أقوى حضارات العالم القديم من حيث التنظيم والابتكار والتطور في الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي والقانوني.

مقدمة

يشير المفهوم العام لمصطلح الأمن الغذائي إلى توفر الغذاء للأفراد دون أي نقص، وألا يخشى أفراد المجتمع من جائحة الجوع، ولذلك تسعى الدول والمجتمعات لإنتاج غذائها بما يتعادل مع الطلب على استهلاك هذا الغذاء، ويجب عليها تحقيق ذلك بكل الطرق والسبل، سوى بالإنتاج أو بالتعاون مع مجتمعات أخرى أو الدخول في الحروب واستعمار أراضي جديدة.

وكما كان الأمن الغذائي هو هاجس الشعوب الحاضرة، كان هاجسا مؤرقا للشعوب والحضارات القديمة، ومن هذه الحضارات الحضارة الرومانية التي تعد أحد أقوى حضارات العالم القديم من حيث التنظيم والابتكار والتطور في الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي والقانوني.

وتبحث هذه الدراسة في الإجراءات التي أتخذها الرومان لتوفير الغذاء لسكان مدينة روما الجياع، خاصة في منطقة شمال إفريقيا.

أسباب اختيار الموضوع: وكان سبب اختيار هذا الموضوع هو رصد طرق وإجراءات المستعمرين للشعوب القديمة، وإلقاء الضوء حول طرق سلب ونهب ثروات الشعوب القديمة من أجل رقي وازدهار حضارة المستعمر.

إشكالية الدراسة: تقع إشكالية الدراسة في سياسة الرومنة التي انتهجها الرومان في منطقة المغرب القديم، وتوضيح العلاقة بين محاولات الرومان لتأمين الغذاء لسكان روما وتوسعها في المغرب القديم.

أهمية الدراسة: تبرز أهمية الدراسة في توضيح أهمية منطقة شمال إفريقيا بين الحضارات القديمة من حيث الإنتاج الزراعي ومساهمتها في تأمين الغذاء للشعوب الأخرى.

أهداف الدراسة: تبرز الدراسة الصورة الحقيقية لاستنزاف ثروات منطقة المغرب القديم، ومدى تقبل سكان هذه المنطقة للإجراءات التي اتخذتها روما لتأمين الغذاء لموطنيها من خلال عرض أهم الأدلة التاريخية والمكتشفات الأثرية التي عليها في المنطقة.

منهج الدراسة: استخدم المنهج الاستقرائي التحليلي في هذه الدراسة واستنباط المعلومات من خلال الأدلة الأثرية والكتابات الكلاسيكية.

أولاً: أسباب اعتماد روما على الإنتاج الزراعي في المغرب القديم

شهـــدت روما عدة حروب منها خارجية مثل الحروب الغالية في شمال إيطاليا في الفترة ما بين 225 -222ق.م والحروب المقدونية في الفترة ما بين 219 - 146ق.م (أيوب، إبراهيم، 1995، 139 -157) والحروب البونية الثلاثة في الفترة ما بين 264 -146ق.م والصراعات الداخلية والفوضى والاضطرابات التي شهدها العصر الجمهوري 509 -27ق.م(حويري، محمود، 1995، 43)، حيث كان لهذه التداعيات تدني كبير على المستوي الاقتصادي أثر بشكل واضح على الزراعة التي كانت العمود الفقري للاقتصاد الروماني (روستفتزف،م، 1957، 44).

ويبدو أن روما بعد أن أحكمت سيطرتها على اغلب مناطق حوض البحر المتوسط توجهت إلى تعويض خسائرها الاقتصادية في المناطق التي سيطرة عليها وضمتها إلى روما (نصحي، إبراهيم، 1971، 402) واعتمدت على إنتاجها الزراعي لتموين روما بالسلع والمؤن الغذائية وخاصة القمح الذي كان أهم مصدر له كان في المغرب

القديم، فقد كانت هناك أسباب جعلت من روما تعتمد في منتوجاتها الزراعية على المغرب القديم منها:

أ – أسباب خاصة بروما:

- الزيادة السريعة فب النمو السكاني لمدينة روما (ددلي، دونالد، 1963، 177) حتى وصل عدد سكانها إلى مليون نسمة في عهد الإمبراطور أغسطس Augustus (27ق.م – 14م) (الشيخ، حسن، 2005، 171)، وانخراط اعداد كبيرة من المزارعين الرومان في الجيوش الرومانية مما أدي إلى ترك مزارعهم لفترة طويلة فتحولت أراضيهم الزراعية إلى بور.

– تعود المزارعون الرومان على حياة الجند وتركهم مهنة الزراعة حتي بعد عودتهم من الحروب وانشغالهم بالغنائم التي حصلوا عليها في الحروب، بالإضافة إلى خسائر الجيش الروماني في المعارك الحربية والتي كان المزارعون من ملاك الأراضي الصغيرة والمتوسطة هم الأغلبية في هذه الجيوش (علي، عبد اللطيف، 1988، 104)..

– توسع الطبقة الأرستقراطية في روما في تملك واستأجر وضم الأراضي الصغيرة والمتوسطة(نصحي، إبراهيم، 1973، 61 -62) بسبب الأوضاع سالفة الذكر وخاصة منذ منتصف القرن الثاني ق.م(الصفدي، هشام، 1967، 104).6 – استفادت الطبقة الأرستقراطية من بعض التشريعات والقوانين الرومانية التي تسمح بتأجير الأراضي الزراعية مقابل دفع ضرائب مقابل ذلك، خاصة وأن هذه الطبقة تملك إمكانيات مادية وبشرية واعتمادها على أعداد كبيرة من العبيد للعمل مما جعل أصحاب الأراضي الصغيرة والمتوسطة لا يملكون منافسة هذه الطبقة(نصحي، إبراهيم، 1973، 13 -14)، ومما يثبت ذلك هو ما عثر عليه بالقرب من وادي مجردة في تونس في ما يعرف بنقش سوق الخميس الذي يعود إلى عهد الإمبراطور كومودوس Commodus (180 -192م) وهو يوضح العلاقة بين المزارعين المؤجرين وملاك الأراضي(حمداش، فهيمة، 2016، 66)، وقد أدت هذه الظروف سالفة الذكر إلى ظهور طبقة عاطلة عن العمل في المجتمع الروماني

كانوا يعيشون في ظروف صعبة مما أضطر الدولة الرومانية إلى توزيع القمح عليهم(إسمية، مصباح، 2020، 97).

-كان لهجرة العديد من الرومان إلى الولايات الجديدة التي تم ضمها إلى روما، وتدفق الأموال والبضائع بكل أنواعها من الولايات الجديدة على روما أدى كل ذلك ألى انشغال بعض الرومان بأموال التجارة والحرف الصناعية وترك مهنة الزراعة.

- انشغال الرومان وخاصة الطبقات الأرستقراطية بتقليد الحياة الشرقية والمجتمعات الهلنستية في توفير وسائل الترف من أنشاء المنازل الفاخرة وشراء الحلى والملابس والأثاث الثمين (رستوفتزف.م، 1957، 44).

- مرت على روما العديد من الأزمات الغذائية منذ القرن السادس ق.م منها السياسية والوبائية وأزمات الأمطار والفيضانات مما جعلها في حاجة ماسة لتوفير مصادر التموين الغذائي (بشاري، محمد، 2007، 127 -131).

– توزيع التموين المجاني من مادة القمح على سكان روما والذي أصبح رئيسياً ومن الضروري على السلطة الرومان توفيره من أجل تجنب الفوضى والاضطرابات في البلاد (خنيش، عبد الفتاح، 2013، 174)، فقد تم اصدار قانون الحبوب سنة 123ق.م أو ما عُرف بقانون ساميرونيوس[*] sempronia fruentaaria للحبوب، وبموجبه يتحصل كل مواطن يسكن مدينة روما على خمسة صواع (جمع صاع) من القمح (باحمد، سعيد، 2009، 52).

– تحول أصحاب الأراضي الكبيرة والطبقة الأرستقراطية إلى زراعة الكروم والزيتون والبساتين التي تجني منها أموال أكثر من القمح مما أدي هذا إلى نقص إنتاج القمح (انديشة، أحمد، 2015، 440)، وبذلك اضطر للإمبراطور دومينانوس سنة 92م لأصدر مرسوم يمنع غرس أشجار الكروم في إيطاليا والولايات التابعة لها وتدمير نصف أشجار الكروم (السراج، نجمة، 2008، 333)، كما أصدر الإمبراطور

(*)–ساميرونيوس: هو تيبريوس سميرونيوس جراكوس Tiberius Sempronius Cracchus وهو من أسرة نبيلة تولي عدة مناصب منها منصب الكويستور عام 137ق.م في اسبانيا ونقيب العامة 134ق.م وقام بإعلان برنامج اصلاحي سنة 133 ق.م للمزيد انظر: علي، عبد اللطيف، 1988، ص 2 -3.

تربيوس (98 -117م) قانون يمنع غرس أشجار الكروم (الجراري، محمد، 1982، 72).

ب – أسباب خاصة بالمغرب القديم:

- موقع المغرب القديم القريب من إيطاليا وخاصة ولاية إفريقيا البروقنصلية الأمر الذي سهل سرعة وصول المؤن الغذائية عبر موانئه البحرية التي يملك المغرب القديم الكثير منها (غانم. محمد، 2003، 112)، فشيد الإمبراطور كومودوس Commodus (180 -192م) أسطول بحري خصص لنقل القمح من موانئ المغرب القديم إلى روما وعرف بالأسطول الأفريقي، وقام بتعيين مندوب في إفريقيا البروقنصلية للإشراف على شحن القمح في السفن (انديشة.أحمد، 2015، 444).

– مساحة المغرب القديم التي بلغت حوالي 765.000كلم^2 وهي تشمل كل الأراضي الواقعة بين خليج سرت الكبير شرقاً وحتى طنجة غرباً، مروراً بجبال الأوراس وشمال جبال الونشريين جنوباً، وشمالاً البحر المتوسط والمحيط الأطلسي (باحمد، سعيد، 2009، 21)، هذه المناطق كانت تحوي عدة مناطق زراعية متنوعة، فقد وصف بليني الأكبر(*) بأن المغرب القديم فيه أراضي زراعية ذات إنتاج زراعي كبير وهي تنتج نوعاً من زيت الزيتون له مذاق جيد وفيها أشجار زيتون تنتج 500 لتر سنوياً (ياحمد. سعيد، 2009، 71)، كما أشار سترابون(**) إلى خصوبة التربة في نوميديا وموريتانيا حيث يتم جني محصول القمح مرتين في العام مرة في الربيع ومرة في الصيف (سترابون، 2003. 11).

– مناخ المغرب القديم الذي يشمل تنوع مناخي، فالمناطق الساحلية ذات المناخ المعتدل والمناطق الجبلية ذات المناخ البارد والمناطق الصحراوية التي تتميز

(*)– بليني: هو جايوس بلينيوس سيكوندوس عرف ببليني الأكبر، ولد في مدينة كومو في بلاد الغال عام 24م، وعاش حتى 79م، وأبرز مؤلفاته التاريخ الطبيعي – للمزيد أنظر: - بليني الاكبر، 2019، 9 -11.

(**) - سترابون: جغرافي عاش في الفترة 63 -40 ق.م، وكانت أبزر مؤلفاته عن التاريخ والجغرافيا، وقد أستقر في مصر لمدة خمسة سنوات، للمزيد أنظر: - المحجوب. عبد المنعم، 2018، 190.

بالحرارة، هذا المناخ كان له الأثر في جذب كل الشعوب القديمة نحو المغرب القديم (جوليان. شارل، 2011، 19).

– استيلاء الرومان على أفضل الأراضي الزراعية خصوبة في المغرب القديم مثل مناطق وادي مجردة ومليانه ووادي كعام وسهول الأوراس (الحداد، مفتاح، 2002، 102)، ويبدو أن الرومان قد استفادوا من مشروع جايوس جراكوس عام 122ق.م الذي اقنع مجلس الشيوخ الروماني بإقامة مستعمرة رومانية في قرطاجة سميت colonia gunnoia carthago (شنيتي. محمد، 1984، 117)، بالإضافة إلى توفر الأيدي العاملة، بالإضافة إلى وادي كينيبس بإقليم طرابلس الذي أشار المؤرخ الإغريقي هيرودوت(*) إلى خصوبة أراضيه (بورينية، الشاذلي، 1999، 247).

– وجد الرومان بعد احتلالهم للمغرب القديم أراضي زراعية جاهزة ومهيأة زراعياً وخاصة في قرطاجة، وقد استفادوا من كتاب ماجون(**) القرطاجي الذي ترجمه الرومان وسهل عليهم تطوير إقامة مشاريع زراعية في المغرب القديم(رستوفتزف،م، 1957، 381)، أما في نوميديا Numidia فتعد المنتج الأكبر للقمح بسبب التقدم الزراعي الذي قـام به الملك ماسينيسا Massinissa (238 -148 ق.م)، وقد أرسل العاهل النوميدي إلى روما الكثير من شحنات القمح في السابق، ومنها التي أُرسلت للجيش الروماني الذي كان يحارب في مقدونيا سنة 200ق.م، كما أُرسلت في عهد الملك ماسينيسا عام 169ق.م ما يقارب 600 قنطار من القمح إلى معبد ابوللو Apollo في جزيرة ديلوس Delos(انديشة. أحمد، 2015، 438)، كما تظهر الصور الجوية في منطقة دوار تازبنت جنوب غرب تبسة أثار تهيئة زراعية ترجع إلى قبل الوجود الروماني في المنطقة (كامبس، غابريال، 2010، 88).

– اعتمد الرومان سياسة زراعية في المغرب القديم هدفها إطالة الاحتلال الروماني من خلال انتزاع أفضل الأراضي الزراعية وطرد سكانها منها وتوزيعها على

(*)–هيرودوت: عرف بأنه أبو التاريخ، وهو مؤرخ يوناني عاش في الفترة ما بين (485 -422ق.م)، وزار العديد من مناطق العالم القديم، للمزيد ينظر: - خشيم.علي، 1967، ص 15.

(**) – ماجون القرطاجي: عالم قرطاجي ألف كتاب الفلاحة من 28 جزءا، وقد تُرجم إلى الإغريقية واللاتينية ولم يصلنا منه إلا بعض الشذارات التي وجدت في كتابات المؤرخين الرومان، للمزيد ينظر: - المحجوب. عبد المنعم، 2018، ص 312.

الرومان(جوليان، شارل، 2011، 218)، ويذكر المؤرخ سالوست(*) أن القادة الرومان كانوا يتقاسموا الأراضي والمساكن بينهم ويتم طرد أصحابها منها(بشاري، محمد، 2007، 74)، وهناك أيضاً قانون أجرايا(**) Agraria عام 111ق.م الذي نص على توسيع ملكية الأراضي الواسعة في المغرب القديم(الحداد، مفتاح، 2002، 27)، وقد أدي توزيـــع الأراضـــي الزراعية بالمجان على الجنود والمستوطنين الرومان إلى زيادة شهوة الجنود الرومان في التوسع في المغرب القديم(باحمد، سعيد، 2009، 71) حيث بلغ عددهم في ولاية إفريقيا البروقنصلية إلى حوالي أثني عشرة ألف شخص في عهد يوليوس قيصر Julius caesar (59 - 44ق.م)، وقام الإمبراطور تبيريوس Traiabus (98– 11م) بتوسيع حدود الإمبراطورية الرومانية نحو الجنوب وحاول ضم مناطق القبائل النوميدية في مناطق شرق الأوراس، وكان الجنود المستفيد الأول من عمليات المسح للأراضي التي تم السيطرة عليها (شنيتي، محمد، 1985، 51 -53).

ومما سبق يتضح أن هناك عدة ظروف قد ساعدت للسيطرة على موارد المغرب القديم، ولهذا سخرت كل الإمكانيات المتاحة إليها من سياسية واقتصادية وعسكرية من أجل أن يبقي المغرب القديم مصدراً للتموين الغذائي، بالإضافة إلى سن القوانين والتشريعات التي تجبر سكان المغرب القديم على المحافظة على الإنتاج الزراعي الذي يضمن إطعام سكان روما، ولهذا أصبح هؤلاء السكان ضحية نفوذ الساسة الرومان وصراعهم على المناصب، وهم مجرد أداة زراعية من وجهة نظر الرومان فقد تعرضوا لسلب أراضيهم وطردهم منها وتشغيلهم فيها.

ثانيا: إجراءات التوسع وتقسيم الأراضي الزراعية:

عندما وسعت رومـا نفـوذهـا خـارج إيطاليا زادت مســـاحـــة الأراضـــي العامة Ager puplcus واعتبرتها أراضي ملك للدولة الرومانية، وكانت هذه الأراضي

(*) – سالوست: مؤرخ روماني عاش في الفترة بين 86 -36ق.م، شغل بروقنصل لولاية إفريقيا، ومن أشهر مؤلفاته كتاب الحرب اليوغرطية، للمزيد ينظر: – سالوست، 2007، ص 34.

(**) – أجراريا، هو قانون خاص بالأراضي وملكيتها، وعرف أيضا بقانون توريوس Thoria، للمزيد ينظر: – علي. عبد اللطيف، 1980، 130.

يستغلها الأثرياء الرومان مقابل رفع ضرائب للدولة الرومانية(السعدني، محمود، 1997، 105) وبذلك صارت أراضي المغرب القديم مصدراً لهؤلاء الأثرياء لتوفير الغذاء للشعب الروماني(شنيتي، محمد، 1985، 53)، وكذلك استغل بعض الجنود الرومان عند إقامتهم في مستعمرات عسكرية خارج روما العديد من الأراضي الزراعية وقاموا بزراعتها، كما شجعت روما المواطنين والجنود الرومان على الاستقرار في هذه المستعمرات من أجل التخلص من بعض الأفراد المشاغبين في روما(السعدني، محمود، 1997، 105)، ونقلاً عن رستوفتزف ذكر المؤرخ بليني في هذا الصدد أن خلال حكم الإمبراطور نيرون Neron (54م -68م) امتلك ستة من ملاك الأراضي نصف أراضي إفريقيا (رستوفتزف.م، 1957، 148) معتمدين في ذلك على قانون أجراريا Agraria سنة 111 ق.م الذي نص على توسيع قاعدة ملكية الأراضي الزراعية لصالح الطبقة الأرستقراطية مقابل دفع الضرائب مما أدي إلي ظهور ما يعرف بالضياع الشاسعة في إفريقياLatifudia (رستوفتزف.م، 1957، 385)، وكانت روما قد طبقت نظرية المنتصر على سكان المغرب القديم وعدتهم من الشعوب التي هزمت في الحرب، وبالتالي فإن جميع أراضيهم وممتلكاتهم هي ملك لروما(محجوبي، عمار، 1985، 495)، فلهذا قد منحت روما مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية للمواطنين الرومان وطردت السكان المحليين منها واضطرتهم للنزوح إلي المناطق الداخلية، ويبدو أن هذه السياسة قد انتهجتها روما في نهاية العهد الجمهوري واستمرت خلال العهد الإمبراطوري(عقون، محمد، 2008، 279)، وهناك قانون أبوليا Apullia في عام 103 ق.م الذي نص على منح أراضي زراعية في ولاية إفريقيا البروقنصلية لجنود ماريوس(*) في وادي مجردة(علي، عبداللطيف، 1988، 58).

(*) ماريوس: هو جايوس ماريوس، جندي روماني نشأ في أسرة أرستقراطية وتولى العديد من المناصب منها تريبون العامة 119 ق. م وقنصل عام 107 ق. م وقائد للحملة ضد يوجرتا في إفريقيا عام 107 ق. م، للمزيد ينظر: - على. عبد اللطيف، 1980، 49 – 51.

وكذلك منح يوليوس قيصر (59ق.م -44ق.م) أراضي زراعية لمحاربيه الذين حاربوا معه في الحرب الأهلية في ولاية إفريقيا البروقنصلية (نصحي، إبراهيم، 1973، 684).

ناهيك عن قانون مانكيانا Manciana الذي أُصدار في عهد الإمبراطور تراجان ونص على استغلال الأراضي البور وتمليكها فيما بعد (98 -197م)، وشجع هذا القانون هـؤلاء المستعمريـن الـرومـان على القيام باستصلاحها وزراعتها وساعدهم في ذلك الإعفاء من دفع الضرائب على الأشجار حتى تثمر، (شنيتي. محمد، 1992، 125 -126)، ويعد نقش هنيشر متيش بالقـرب من وداي مجـردة من أفضل الأدلة الأثريـة التي تؤيـد ذلك، وقد عثر عليه سنة 1896م ويرجع إلى فترة حكم الإمبراطور سيبتيميوس سيفروس Septimius Severus (19 - 211م)، وكذلك نقش عين الجمالة الذي عثر عليه سنة 1906م بالقرب من منطقة عين تونقة Tounga الذي يشير إلى طلب المزارعين بشأن منحهم الأذن باستغلال الأراضي البور ((خنيش. عبد الفتاح، 2013، 76 -77)).

أما النقش الموسوم على قوس الإمبراطور تبيريوس Teberius (14 -37م) في لبدة الكبرى فهو يوضح الانتهاء من أعمال تبليط شوارع مدينة لبده الكبرى Leptis Magna بمناسبة القضاء على ثورة تاكفاريناس في فترة (17 -24م)، وقد نفذت هذه الأعمال بالأموال التي تم الحصول عليها من الأراضي التي استردت لسكان مدينة لبدة الكبرى (عيسى. محمد، 21،1992 -22).

استخدم قمح المغرب القديم كأحد الأسلحة أثناء الحرب بين بومبي Pompey وقيصر Caesrar، فقد نجح جنود بومبي في السيطرة على أهم مناطق إنتاج وتوزيع القمح في إفريقيا البروقنصلية مما جعل جنود قصير في موقف صعب، فبادروا بالهجوم على مخازن القمح في حضرموت (سوسة حالياً) ومدينة اوتينا (وذنه حالياً)، واستخدم كذلك في الحرب بين أغسطس اوكتافيوس وبومبي. ويبدو أن روما قد عانت الكثير من المشاكل والأزمات مثل المجاعة الكبرى التي حصلت في روما وبلاد إيطاليا بسبب سيطرة بومبي على الطرق البحرية التي تسلكها السفن المحملة

بالقمح من إفريقيا إلى روما مثل صقلية وسردينا وكورسيكا (مجيد، سعد، 2009، 151 -154).

وكانت هناك عمليات مسح الأراضي الصالحة للزراعة أو ما يعرف بالكنتره وهي كلمة لاتينية جاءت من كلمة كنتوريا Centuria وتعني مساحة أرض تقدر بـ 50 هكتار، وعملية الكنترة هي عبارة عن عمليات هندسية يقوم بها المهندسون لتخطيط الأراضي(Falbe, C.T, 1833, 55)، وبعد الانتهاء من عملية مسح الأراضي وتقسيمها إلى وحدات يتم إقامة حواجز تكون بارتفاعات ترابية أو أسوار أو انصاب حجرية bornes (Trousset, P. 1978, 125) مثل التي عثر عليها في منطقة شط لفجاج وهي تحمل رموز وإعداد واتجاهات، وترجع إلى عهد الإمبراطور تبيريوس Teberius (14 -37م) (حمداش. فهيمة، 2016، 64)، كما عثر على أثار لعمليات الكنترة الرومانية في مناطق مختلفة من المغرب القديم منها بالقرب من بادس ومنطقة خنشلة وهي ترجع إلى نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الميلاديين، كما كشفت الصور الجوية على العديد من عمليات الكنترة الرومانية بمناطق تاجنانت وحول جبل اغرور وجنوب شط الحصنة وهي تعود إلى فترة الإمبراطور سيبتيميوس سفيروس (193 - 211م) (تربعة. السعيد، 2015، 171) وشرق منطقة الجم (حمداش.فهيمة، 2016، 64)، وقد وصلت التوسعات الرومانية في المغرب القديم في عهد الأسرة السيفيرية إلى درجة زراعة الأراضي الجبلية والمناطق المتاخمه للصحراء(Soyer ,J. 1973, 275).

ثالثاً: إجراءات زيادة الإنتاج الزراعي وتنوعه:

يبدو أن السياسة الزراعية الرومانية كانت تسير وفق مصالح روما حيث اهتمت بزراعة الحبوب خلال القرن الأول ميلادي، وفي خلال القرن الثاني سمحت بغرس الأشجار المثمرة مثل الزيتون والكروم وهذا يظهر واضحاً من خلال القوانين والتشريعات التي أصدرها الأباطرة الرومان(انديشة، أحمد، 2004، 138)، وقد ساهمت منطقة المغرب القديم في تموين روما بالقمح بكميات كبيرة ويدلل على ذلك إعلان يوليوس قيصر Julius Caesar (59 -44ق.م) في

الاحتفال الذي أقامه بمناسبة ضم مملكة نوميديا في عام 46ق.م، أنه ضم إلى روما مناطق تزودها بما تحتاجه من القمح (شنيتي، محمد، 1984، 85)، وقد أشار العديد من المؤرخين القدامى إلى إنتاج القمح في المغرب القديم، ومن ذلك أشار سترابون أن مناطق نوميديا وموريتانيا غزيرة بإنتاج القمح الذي يصل ارتفاعه إلى أكثر من متر في حين أن إنتاج الحبة تصل إلي 240 حبة(سترابون، 11،17).

ويبدو أن مكانة القمح في المغرب القديم كانت عالية فقد نُقشت سنابل القمح على عملات عدة مدن وممالك نوميدية وموريتانية منها عملة ماسينيسا Massinissa التي ترجع إلى (81 -48 ق.م) (سراج. نجمة، 2008، 2).

وقام الإمبراطور أغسطس (27ق.م - 14م) بتوزيع القمح على مليون مواطن روماني عقب المجاعة التي نكبت بها مدينة روما، وقام أيضاً بتأسيس إدارة القمح الأنونة Annonae(*) التي أشرفت على تجميع وشحن القمح إلى روما وتوزيعه على سكانها(انديشة.محمد، 2015، 443)، ويبدو أن تأسيس هذه الإدارة لم يأتي محل صدفة أو تخطيط مسبق بل كان بعد مرور روما بالعديد من الأزمات الغذائية نتيجة الحروب والكوارث الطبيعية(بشاري، محمد، 2007، 158) منذ القرن السادس ق.م عندما حاصر ملك كلوزيوم روما، الأمر الذي أجبر مجلس الشيوخ على استيراد القمح من إقليم كمبانيا، كما تم جلب القمح من صقلية في عام 492ق.م بعد تمرد الطبقة العامة، وكان عام 456ق.م عام أمطار وفيضانات كثيرة، كما انتشر وباء الطاعون في عامي 433ق.م و23ق.م، وعام 54ق، وفيضان نهر التيبر في عام 54ق.م، وفي أعوام 49 -46ق.م حدثت الحروب بين قيصر وبومبي، وأصيبت روما بزلزال عنيف في عام 6م اعقبتها فيضانات مدمرة، وبالعكس من ذلك اصيبت روما والسهول الايطالية في عام 23م بجفاف وقحط، وأصيبت في سنة 62م بعواصف بحرية قادمة من البحر المتوسط(بشاري، محمد، 2007، 127 -131)، ولم تبدأ عملية توزيع القمح المجاني أو بأسعار رمزية إلا في

(*) – الأنونة: - هو جهاز إداري أقيم لغرض تزويد روما بالقمح، وكان مهمته جمع وتخزين ونقل القمح من الولايات والمقاطعات التابعة إلى روما، للمزيد ينظر: - عقون، محمد، 2010، 98.

سنة 123ق.م بعد اصلاحات جراكوس أو ما عُرف بقانون سيمرونيس الذي فرض على الدولة الرومانية بيع القمح بأسعار ثابتة كل شهر، ويعتقد الكثير من الباحثين أن أهداف هذا القانون كان سياسية وذلك من أجل كسب أصوات الناخبين(أيوب. إبراهيم، 1995، 107 -108).

وكان المغرب القديم يوفر ما يقارب الثلث من استهلاك روما من القمح في عهد الإمبراطور أغسطس 27 -14 ق.م(L, Charrier, 1912,49).

وقام الإمبراطور أغسطس بزيادة الضرائب على المغرب القديم حتى وصلت إلى 40 مليون موديوس(*) من القمح سنوياً وذلك من أجل تحقيق الاكتفاء لسكان روما من القمح والتخلص من تكاليف شرائه (باحمد، سعيد، 2009، 54 -55)، ويرى الباحثون أنه ونظراً للتوسع الروماني في مجال احتلال أراضي المغرب القديم وطرد سكانه منه وزيادة نسبة المستعمرين وهبات الأراضي للجنود الرومان والضرائب التي فرضتها روما على مناطق المغرب القديم قد زادت نسبة إنتاج المغرب القديم من مادة القمح المصدر إلى روما حتى وصلت إلى 1200 طن سنوياً في فترة حكم الإمبراطور نيرون Neron (54م - 68م) (Tacite, Annales, LIV).

أما عن الدلائل الأثرية التي تثبت زراعة وإنتاج القمح في بلاد المغرب القديم فهي كثيرة: منها على سبيل المثال لا الحصر هو تلك المنحوتات على أضرحة قرزة جنوب شرق مدينة بني وليد والتي توضح عمليات حصاد القمح (جودتشايلد، 1999، 91)، بالإضافة إلى اللوحة المعروضة الآن بمتحف السرايا الحمراء بطرابلس وهي عبارة عن لوحة فسيفسائية عثر عليها في فيلا دار بوك عميرة بمدنية زليطن تمثل عمليات دراس الحبوب، وهناك أيضاً فسيفساء مدينة شرشال بالجزائر التي توضح عمليات بذر الحبوب وحرث الأرض (عيسى، محمد، 1994، 106 -107).

(*) – موديوس: هو أداة وزن رومانية يعادل نصف كيلو جراماً تقريباً، للمزيد ينظر: - نصحي، إبراهيم، 1971، تاريخ الرومان، ص 107.

أما بالنسبة لزيت الزيتون فقد شجعت روما زراعة شجرته في المغرب القديم منذ القرن الثاني الميلادي، ونقلاً عن الحداد ذكر بليني Plinyn أن الأباطرة الرومان لم يشجعوا المزارعين على غرس أشجار الزيتون إلا في أواخر القرن الأول الميلادي (الحداد. مفتاح، 2002، 132) وذلك من خلال قانون هادريان Hadriana (117 -138م) الذي نص على زراعة هذه الاشجار في الأراضي البور من دون دفع ضرائب عليها حتى تنتج ثمارها (Carcopino ,J. 1906, 390–392)، وقد عُثر في منطقة عين واصل في تونس على ثلاثة أنصاب حجرية تعود إلى فترة حكم سيبتيميوس سيفيروس عليها بعض نصوص قانون هادريان المتعلقة باستصلاح الأراضي البور وإعفاء الأشجار المثمرة من الضرائب لمدة خمسة سنوات(Mespoulet, M. 1892,177.)، كما أشار العديد من المؤرخين القدامى إلى زراعة أشجار الزيتون وإلى جودة زيت المغرب القديم، فقد أشار بليني الأكبر Plinyn إلى كثافة إنتاج اشجار الزيتون في أراضي قرطاجة(بشاري، محمد، 2007، 37).

وأصدر الإمبراطور سيبتيميوس سيفيروس مرسوم يضيف زيت الزيتون إلى الأنونة التي توزع على سكان روما مجاناً وكان ذلك في عام 200م، ومن الأرجح أن تطور مدينة لبده الكبرى في المجال العمراني يعود إلى التطور الاقتصادي الناتج عن المحاصيل الزراعية الوفيرة(باحمد، سعيد، 2009، 92) وكان من أهمها زيت الزيتون فقد منحت المدينة الإمبراطور سيبتيميوس سيفيروس كمية من زيت الزيتون وذلك بعد أن منحها الحقوق اللاتينية، واستمرت المدينة في تقديم كمية الزيت للأباطرة* الرومان حتى عهد قسطنطينConstantine(306 - 377م)(الحداد، مفتاح، 2002، 135).

أما في روما فقد طهرت فئة من التجار كانت مختصة في تجارة زيت الزيتون وعرفوا باسم Olearil mercatores(Historia Augsta, Severus,18.3)، ويذكر شيشرون(*)أنه في مدينة لبدة الكبرى كان هناك أحد التجار الرومان يُعرف باسم

(*) - ماركوس توليوس شيشرون (Marcus Tullius Cicero)، كاتب وخطيب روماني، ولد سنة 106 ق.م، صاحب إنتاج ضخم يعتبر نموذجا مرجعيا للتعبير اللاتيني الكلاسيكي، ومن أهم مؤلفاته كتاب هورتا نسيون الذي بحث في الحقيقة والسعادة، وكتاب الجمهورية والقوانين، شيشرون، https://ar.m.wikipedia.org/wiki، 2021/11/17، 1:43

هيرينيوس عاش في المدينة خلال النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد وأنه قام بنشاط تجاري ملحوظ(Mattingly, 1988a: 22-23).

وعثر في منطقة المغرب القديم العديد من الأدلة الأثرية التي تثبت إنتاج زيت الزيتون بوفرة كبيرة، ويعكس انتشار معاصر الزيت التي ترجع للفترة الرومانية وبأحجام مختلفة مدى كثافة إنتاج زيت الزيتون، ومن هذه المنشآت معصرة بير سقاعون التي تقع على بعد 35كم جنوب تبسة، ومعصرة في منطقة فولوبيليس مدينة ليلي حالياً وفي منطقة جبال شتوه بالقرب من مدينة شرسال الحالية وفي منطقة وادي الشلف في مدينة رابيدوم سورجواب حالياً(باحمد، سعيد، 2009، 74 -79)، ويبلغ عدد المعاصر التي وجدت في إقليم لبدة الكبرى بليبيا حوالي 1500 معصرة منها معصرة هنشير سيدي حمدان ومعصرة صنم سمانه(Mattingly, D.J, 1993, 390)، كما عثر في هضبة تستاشييو بالقرب من ميناء أوستيا Ostia على العديد من قطع الفخار التي تمثل أمفورات ربما استعملت لنقل الزيت عليها أختام مدن من المغرب القديم مثل توبوسكتو busuctu القصر حالياً وحضرموت Hrdrumete سوسة حالياً ولبتس ماجنا Leptis magna بإقليم طرابلس(Kehoe, D.1988, P53).

أما عن زراعة الكروم فقد كان محل قوانين ومراسيم اتخذها ساسة روما للحد من زراعته حينا وتشجيع زراعته أحياناً أخري(سراج، نجمة، 2008، 332)، فقد قرر مجلس الشيوخ الروماني في القرن الثاني ق.م منع زراعة أشجار الكروم في الولايات الغربية والتي وقعت تحت سيطرة روما لاحقاً، ومن جهة أخرى قاموا بتشجيع زراعته في الضياع الواسعة التي يمتلكونها في بلاد اليونان وآسيا الصغرى(روستفتزف،م، 1957، 45)، ويذكر أن المؤرخ بليني الأكبرPliny قد لاحظ أثار قديمة لزراعة أشجار الكروم في مناطق جبال أطلس(Gsell, S, T.5, 1920, 182)، كما اصدر الإمبراطور دومتيان Domitianus (81 -96م) سنة 92م

مرسوم منع فيه زراعة أشجار الكروم والتي يبدو أنها شغلت المزارعين عن زراعة القمح(شنيتي، محمد، 1987، 11 -12).

وتشير الأدلة الأثرية إلى زراعة الكروم في المغرب القديم وانتشار صناعة النبيذ في المنطقة، فمنها ما عثر عليه في روما وهي عبارة عن نقيشة تذكر اسم أحد التجار المستوردين للخمور من موريتانيا، كما عثر في ميناء أوستيا Ostia على ثلاث نقائش توضح أنه كان هناك تجمع لتجار الخمور وأن أحد هؤلاء التجار كان جندي روماني في احدى مناطق المغرب القديم (.CIL. V. 9676)، وعثر في مدينة روما على العديد من الأمفورات التي كانت مخصصة لنقل الخمور والتي وجد عليه ختم مدينة تبوسكتو القصر حالياً واخرى تحمل ختم مدينة تبكلات بجاية حالياً (Chastagnol,A. 1951, 166-183).

وهناك أيضاً الفسيفساء الموجودة في متحف تبسة وهي تمثل منظر جني العنب، كما عناقيد العنب على العديد من قطع العملة التي ترجع إلى فترة ما قبل مجيئ الرومان منها تلك القطعة البرونزية التي ذكر عليها اسم الملك ماسينيسا باللغة البونية وهي ترجع إلى 48 -81ق م(سراج، نجمة 2008، 211)، وهناك ايضاً قطع العملة التي ترجع إلى مدينة لكسوس(شنيتي، محمد، 1987، 36)، كما عثر في احد الفيلات الرومانية في مدينة سوسة بتونس على أرضية فسيفسائية عليها صورة أمرأه تضع على راسها أكليل من العنب وتمسك في يدها كوب به نبيد وبجانبها رجل يحمل سلات مملؤة بعناقيد العنب(الحداد، مفتاح، 2002، 137).

رابعاً: إجراءات تأمين وصول الإنتاج الزراعي إلى روما:

من أجل تأمين وصول كافة المحاصيل الزراعية إلى روما وخاصة القمح قامت روما باتخاذ العديد من القوانين والإجراءات التي تضمن وصول الإنتاج إلى روما بكل سهولة ويسر، ففي عام 67ق.م ظهرت بوادر أزمة القمح في روما فمنحت السلطات الرومانية سلطة بروقنصلية إلى بومبي Pompey (106 -48ق.م) يكون بموجبها مشرفا على الأسواق التجارية الخاصة بالقمح وشرائه من كل الولايات التابعة إلى روما وتوفير السفن لنقله ومراقبته في الموانئ حتى يصل روما، ولتحقيق ذلك

اضطر بومبي للسفر إلى ولاية إفريقيا البروقنصلية وأشرف بنفسه على تجميع كميات كبيرة من القمح وشحنه إلى روما .

وفي عام 81ق.م تحالف هيرباص Hirbas (108 – 81ق .م) حفيد ماسينيسا مع الحاكم الروماني في ولاية إفريقيا البروقنصلية دومينتيوس Domitius وحرمان روما من الغلال الزراعية، مما أدي بروما بأرسال قوة عسكرية تمكنت من القضاء عليهم وذلك من اجل استمرار تدفق القمح من ولاية إفريقيا البروقنصلية(أنديشة، أحمد، 2015، 445)، ومن اجل تأمين وصول امدادات القمح من المغرب القديم إلى روما قام الإمبراطور كلاوديوس Claudius (41 -54م) بمنح اصحاب السفن التي تحمل القمح إلى روما بكميات كبيرة بعض الامتيازات منها التعويض عن خسائرهم في حال تعرض سفنهم إلى أي أخطار في البحر(محجوبي، عمار، 1985، 500).

كما اصدر قانون آخر يخص بمنح المواطنين اللاتين حق المواطنة في حال شراءهم سفن كبيرة الحجم وامتلاكها لمدة ستة سنوات وذلك للمساعدة في نقل القمح إلى روما(مبروك، عباس، 12،2000).

وقام الإمبراطور كومودوس Commodus (180 - 192) بأرسال أسطول بحري لحماية السفن القادمة إلى روما بالقمح وغيرها من الغلال الزراعية (Fevier,P.A.) .1985, T2. 96

وتعددت الامتيازات الممنوحة لأصحاب وملاك السفن التجارية الناقلة للقمح في عهد الإمبراطور سيبتيموس سفيروس Septimius Severus (193 -211م)، فتم اعفاءهم من الضرائب(أنديشة، محمد، 2015، 444 -445) وكذلك من مسؤوليات البلدية وذلك من أجل المحافظة على وصول القمح إلى روما(ورمنقتن، ب.ه، 1994، 9)، كما ارسل الإمبراطور سيبتيموس قوة عسكرية إلى المغرب القديم بعد تمرد قائـــد القـــوات الشرقيـــة الرومانية نيجر Niger الذي حاول السيطرة على مناطق المغرب القديم وذلك خوفاً من أن يقطع امدادات روما بالقمح، ونقلاً

عن انديشة فقد ذكر المؤرخ تاكيتوس[*] Tacitus (54 -120م) أن روما تعتمد على القمح الإفريقي في اطعام سكانها(انديشة، محمد، 2015، 446).

وقد قامت روما بمنح العديد من الامتيازات لملاك السفن منها إعفاءهم من الضرائب والخدمة العسكرية وخاصة تلك السفن التي تنقل كميات كبيرة من القمح وكذلك تعويضهم عن خسائرهم البحرية في حالة التعرض للقراصنة والعواصف البحرية ومن ذلك كانت عمليات نقل القمح تجرى في الفترة ما بين أبريل وأكتوبر لتجنب التقلبات البحرية في البحر المتوسط(Legale,M. 1990, 135)

أما عن الدلائل الأثرية التي تبين نقل القمح والسلع الغذائية إلى روما من مناطق المغرب القديم، أهمها ما عثر عليه في ميناء مدينة أوستيا Ostia وتمثل نقوش لاتينية لأشخاص من المغرب القديم كانت مهمتهم تجهيز السفن التي تنقل التموين إلى روما، كما وردت في إحداها (تعود إلى سنة 141م) اشارة لأصحاب سفن من ميناء قرطاجة(باحمد، سعيد 2009، 184).

كما عثر في ميناء أوستيا Ostia ايضاً على مكاتب خاصة بموردين السلع الغذائية وهي تابعة لمدن قرطاجة وينزرت وصبراته، ووجد في هذه المكاتب أرضيات فسيفسائية رسم عليها رموز لبعض السلع الغذائية التي تم استيرادها مثل القمح والزيت والنبيذ(محجوبي، 1985، 500)، وللمحافظة على إنتاج القمح ووصوله إلى روما احتاجت السلطات إلى بناء العديد من المخازن سوى القريبة من المناطق الإنتاج أو بالقرب من الطرق الرئيسية أو في الموانئ، وذلك من أجل تخزينه بشكل جيد، وأهم هذه المخازن هو مخزن ميناء مدينة كويكول Cuicul مدينة جميلة الحالية الذي تقدر مساحته 115 متر مربع ويتسع إلى حوالي 145متر مكعب من القمح(صغيري، هدى، 2020، 83 -84) والمخزن عبارة عن صومعة تصل إلى ارتفاع 22م ولها نظام تهوية ومزودة بأبواب منيعة وألحقت به مكاتب خصصت للمسئولين عن وصول

(*) - تقلد تاكيتوس : (54 - 120م) العديد من المناصب داخل وخارج روما حتي وصل إلى منصب البروقنصل، كانت له العديد من المؤلفات منها كتاب الحوليات وكتاب التاريخ – للمزيد : - ينظر: - تاكيتوس، تاكيتوس والشعوب الجرمانية، 1959، 11 .20 .

القمح وتوزيعه، ويعود هذا المخزن إلى القرن الثاني ميلادي(المسعودي، آسيا، 162،1994)، وهناك أيضاً مخازن للقمح في روسيكاد Rusicade مدينة سكيكدة الحالية التي عثر فيها على عبارة كتب فيها (الأمن الغذائي للشعب الروماني)، وفي موريتانيا وجدت مخازن القمح بضواحي مدينة سيطيفس Setifis مدينة سطيف الحالية وفي مدينة توبوسوكتو Tubusuctu القصر حالياً التي تقع جنوب غرب بجاية(Picard,G.C.1957, 83) وقد كان للموانئ دور كبير في تخزين ونقل السلع والمحاصيل الزراعية وخاصة التي كانت تخصص لضريبة الأنونة حيث تعتبر المخازن الرئيسية لجمع السلع ويتم شحنها فيما بعد إلى روما(كلاوس، مانفرد، 2009، 125).

كان سكان المغرب القديم يقومون بتخزين القمح في أماكن سرية تحت الأرض تعرف باسم المطامير خوفاً عليه من السلب والنهب والمصادرة، كما أنشاؤا مخازن جماعية في المرتفعات الجبلية والمناطق الوعرة وعرفت باسم اجودار ومفردها اجادير ومنها سميت مدينة اجادير المغربية (مجيد، سعد، 2007، 153).

أما عن مخازن مدينة أوستيا Ostia التي تعتبر هي المخازن الرئيسية لاستقبال الحبوب من كافة المناطق التابعة لروما وتوزيعها فيما بعد على سكان روما، فقد بلغت مساحة هذه المخازن حوالي 21000م^2 وعدد غرف التخزين حوالي 140غرفة، وقد تم بناءها لكي تلائم كافة الظروف المناخية وتزويدها بأبواب منيعة ضد أعمال السرقة، واستعمل في بناءها الحجارة المصقولة ذات الحجم المستطيل وكان سمك الجدران حوالي 60سم وغطي السقف بالقرميد(باحمد، سعيد، 2009، 106 -113)، ومن أجل تأمين المناطق الزراعية الرومانية من هجمات القبائل المحلية قامت بإنشاء النظام الدفاعي الحدودي الليمس الذي أمتد على طول مناطق السيطرة الرومانية في المغرب القديم التي كان أغلبها يضم أفضل المناطق الزراعية من سهول ومرتفعات جبلية بعد أن تم طرد السكان المحليين إلى مناطق الدواخل ومصادرة أراضيهم، ويشمل هذا النظام القلاع والحصون والمعسكرات وأبراج المراقبة(صحراوي، عبد القادر، 2001، 21) وكان يمتد من قلعة جولايا ابونجيم حاليا إلى منطقة تليمين في قابس مروراً بمناطق الجبل الغربي وقلعة غدامس في

ليبيا(Goodchild, R.A. 1949, 81)، ومن تليمين حتى تيفست في منطقة الأوراس مارا بمدينة تمجاد وخنشله حتى يصل الجلفه ومنها إلى تلمسان لينتهي في مغنية (صحراوي، عبد القادر، 2001، 21 - 24)، وكانت الفرقة الأوغسطية الثالثة هي التي تتمركز في بعض المناطق لكي تحمي مصادر الغذاء في المغرب القديم من هجمات القبائل المحلية(باحمد، سعيد، 2009، 55) وقد استخدمت بعض الحصون والقلاع كمخازن لتخزين الزيت والحبوب ليتم توزيعها على الجنود الرومان أو شحنها إلى المناطق الساحلية(انديشة، محمد، 2004، 208).

خامساً: الإجراءات الضريبية: -

فرضت روما العديد من أنواع الضرائب على سكان المغرب القديم، ويبدو أنها لم تتبع نظام موحد في كل الولايات التابعة لها وإنما كانت تجني الضرائب لإطعام سكان روما، فبعد سقوط قرطاجة 146ق.م قامت روما بإرسال لجنة سيناتورية لحصر الأراضي التي تم وضعها تحت سلطة الدولة الرومانية، وكذلك إصدار قوانين يتم بموجبها تحديد المنتجات التي يتم تصديرها إلى روما وتحديد الضرائب على الأفراد وكل الأراضي لتشمل الأراضي الزراعية وأراضي الغابات والمناجم والمحاجر، وقد فرضت روما أيضاً ضرائب على المدن والمناطق التي هزمت في الحرب ضدها مثل قرطاجة، حيث ذكر إيبانوس Appianus (95م -165م)[*] أن روما فرضت ضرائب على الشعوب المهزومة في الحرب(شنيتي، محمد، 1984، 128).

وهناك عدة انواع من الضرائب التي فرضتها روما على سكان المغرب القديم منها ضريبة العشر وهي ضريبة عينية وتدفع من طرف المزارعين والمستأجرين كل سنة عن محاصيلهم الزراعية، ويتم دفع عشر المحصول الزراعي عن كافة أنواع المحاصيل الزراعية مهما بلغ إنتاجها، وهناك ضريبة الأرض أو الحرب وقد فُرضت على الشعوب التي هزمت في الحرب ضد روما وأصبحت أراضيها تابعة للدولة الرومانية، وهي تعتبر كتعويض عن خسائر روما في الحرب وضريبة سنوية تدفع عن الأفراد والأراضي التي يعملون بها (Livy,T. I.38.vii.31).

[*] – إيبانوس: (137 - 161م) ترجع أصوله ألى مدينة الإسكندرية، حصل على حق المواطنه الرومانية، وعمل محاميا، وله عدة مؤلفات منها الشئون المصرية، للمزيد ينظر: - السعدني، محمود، 2007، 15.

وهناك أيضاً ضريبة التاج، وكانت في بدايتها تقدم من السكان والمدن طوعياً بمناسبة اعتلاء الأباطرة الحكم أو عند الاحتفال بانتصار الأباطرة في الحروب، ثم تحولت إلى ضريبة إجبارية تجبى كل سنة في شكل تاج من الذهب أو مبلغ من الأموال (شنيتي، محمد 1984، 129)، وهناك ضريبة أخرى كانت تفرض على المواطنين في المغرب القديم وهي عبارة عن تطوعهم لخدمة الدولة الرومانية أو تبرعهم بالأموال لها وهي تعرف بضريبة الواجب العام وقد ظهرت في العهد الإمبراطوري الأول (27 ق.م - 235م) (مجيد، سعد، 2007، 162).

وقام الإمبراطور سيبتيميوس سيفيروس بفرض ضريبة الأنونة العسكرية، وهي عبارة عن تمويل الجنود الرومان بالمواد الغذائية، ويبدو أنه كان من أهداف عمليات مسح الأراضي الزراعية (الكنتره) هو جباية الضرائب (Albertini, E, 1937, 36).

أما بخصوص الدلائل الأثرية التي تؤكد دفع سكان المغرب القديم للضرائب فيمكن ذكر بعضها مثل النقش الذي عثر عليه في مدينة باناسا Banasa في إيطاليا الذي يرجع تاريخه إلى 216م فترة حكم الإمبراطور كاركالا Carcalla (111 - 217م) وبين النقش فرض روما ضرائب عنيفة على إنتاج القمح، كما عثر في سنة 1928 بالقرب من مدينة تبسة على بعض الألواح الخشبية عليها كتابات لاتينية وضعت داخل جرار تذكر بعض نصوص قانون مانكيانا المتعلقة بفرض ضرائب على الأشجار، وترجع هذه الكتابات إلى فترة حكم الملك الوندالي غنتاموند(484 -496م) (Albertini,E. 1928, 301-303).

كما عثر في ميناء قرطاجة على بعض الأختام التي استعملها جباة الضرائب، وعثر في مدينة لمباز بالقرب من معسكر الفرقة الأوغسطية الثالثة على نقش يوضح وجود ضريبة على البضائع التي تدخل إلى مدينة لمباز ويرجع تاريخ النقش إلى فترة حكم الإمبراطور هادريانHadriana (117 -138م)، وعثر أيضا في منطقة زرايا الواقعة بالقرب من مدينة سطيف سنة 1858م على نقش يوضح مقدار الضرائب المفروضة على السلع الغذائية والحيوانات والجلود ويرجع النقش إلى زمن

الإمبراطور سيبتيميوس سيفيروس وهو مؤرخ بتاريخ 202م(جوليان(شارل، 2001، 555).

الخاتمة

تعد منطقة المغرب القديم من المناطق الهامة التي دخلت في حكم وسيطرة الشعب الروماني، فكانت أقاليم المغرب القديم تقدم لجياع روما والمدن الإيطالية إنتاج وفير من المحاصيل الزراعية أهمها القمح وزيت الزيتون والكروم.

ولكي تسيطر روما على هذا الإنتاج كان عليها إتباع عدد من الإجراءات، جاء بعضها بشكل قوانين وتعليمات من رؤوس السلطة الرومانية تدفع باتجاه ضمان تدفق الإنتاج وعدم توقفه واستغلال كل الإمكانات من استصلاح للأراضي البور وإرسال المستوطنين الإيطاليين لاحتلال الأراضي الخصبة وتحويلها إلى ضياع رومانية.

وجاء البعض الآخر بصورة احتلال مباشر لأراضي وأقاليم المغرب القديم وطرد سكانه المحليين إلى أراضي أقل خصوبة وجودة اقتصادية عند أطراف المناطق الصحراوية.

حاولت هذه الدراسة تحسس الأسباب التي جعلت من روما وحكامها يولون أهمية كبرى لهذه المنطقة من العالم المحيط بهم، وعمل كل ما يلزم لاستمرار السيطرة عليها وعدم خروجها من أيديهم، وتحقيق الأهداف المرجوة من ذلك، أهمها تأمين الغذاء للشعب الروماني الذي عانى الكثير من الأزمات عبر تاريخه الطويل.

المراجع

أولاً: المصادر:

1 – بليني، 2019، الكتاب الخامس، التاريخ الطبيعي، ترجمة: محمد الدويب، ط 2، مركز المناهج التعليمية.

2 - سالوست، 2007، الحرب اليوغرطية، ترجمة: محمد المبروك الذويب، منشوارت جامعة بنغازي.

3 - سترابون،2003، الكتاب السابع عشر، وصف ليبيا ومصر، ترجمة: محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة بنغازي، ط 1، بنغازي.

4 -هيرودوت، 2003، الكتاب الرابع، الكتاب الليبي، ترجمة: محمد المبروك الذويب، ط3، منشورات جامعة بنغازي.

ثانيا: المراجع العربية:

- السعدني، محمود ابراهيم، 1997، معالم تاريخ روما القديم منذ نشأتها وحتى نهاية القرن الأول الميلادي، دار النهضة الشرق، جامعة القاهرة.

- 2007، تاريخ وحضارة الرومان، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ط 1، القاهرة.

- الشاذلى بورنية، محمد الطاهر، 1999، قرطاجة البونية تاريخ وحضارة، مركز النشر الجامعي.

- الشيخ، حسن، 2005، الرومان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

- الصفدي، هشام، 1967، تاريخ الرومان، الجزء الأول، دار الفكر الحديث، بيروت.

- المحجوب، عبد المنعم، 2018، ليبيا القديمة، دار الإتحاد للنشر والتوزيع، ط 1، تونس.

- انديشة، أحمد محمد، 2004، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، دار ومكتبة الشعب، مصراته.

- أيوب، إبراهيم رزق الله، 1995، التاريخ الروماني، الشركة العالمية للكتاب، بيروت.

- حويري، محمود محمد، 1995، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، دار المعارف.

- شنيتي، محمد البشير، 1984، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

- 1985، سياسة الرومنة في بلاد المغرب العربي من سقوط قرطاجة إلى سقوط موريتانيا، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

- صحراوي، عبد القادر، 2001، التحصينات العسكرية في نوميديا وموريتانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني 46 ق.م 284م، دار الهدى، الجزائر.

- عقون، محمد العربي، 2008، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية.

-علي، عبداللطيف أحمد، 1970، مصادر التاريخ الروماني، دار النهضة العربية، بيروت

- 1988، التاريخ الروماني، عصر التورة، دار النهضة العربية - القاهرة.

- غانم، محمد الصغير، 2003، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب، جامعة منتوري قسنطينة، دار الهدي، عين مليلة.

- مبروك، عباس، 2000، نشأة وتطور القانون البحري الروماني، دار النهضة العربية.

- محجوبي، عمار، 1985، العصر الروماني وما بعده في شمال إفريقيا، تاريخ إفريقيا العام، مج. 2، ترجمة مجموعة من المترجمين، اليونسكو، باريس.

- نصحي، إبراهيم ،1971، تاريخ الرومان – الجزء الأول – منشورات الجامعة الليبية، بنغازي.

- 1973، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي.

ثالثاً: المراجع المعربة:

- تاكيتوس والشعوب الجرمانية، 1959، ترجمة: إبراهيم صرخان، دار الضياء للطباعة، القاهرة.

- جود تشايلد، 1999، دراسات ليبية، ترجمة: عبدالحفيظ الميار، مركز المحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس.

- جوليان، شارل اندري جوليان، 2011، تاريخ شمال إفريقيا الشمالية، ترجمة: البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس.

- ددلي، دونالد.ر، 1963، حضارة روما، ترجمة: جميل الذهبي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.

- رستوفترف،م. 1957، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ترجمة: زكي محمد سليم، مكتبة النهضة العربية.

- كامبس، قابريال، 2010، في اصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، ترجمة: محمد العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية – الجزائر.

رابعا المراجع الأجنبية:

- Albertini, E.; 1928, documents d'époque vandale découverts en Algérie ،in : C.R.A.I.,72 éme Année, N3.

- 1930, L'Afrique du Nord française dans l'histoire de Rachat, Paris, Lyon.

- Carcopino ,J. L., 1906, 'inscription d'Ain-el-Djemala, contribution à l'histoire des saltus africains et du colonat partiaire, in: M. A. H. , T. 26.

- Charrier,L. 1912,Description des mannaies de la Numidie et de la Maurretanie, Macon.

- Chastagnol,A., 1951, Un scandale du vin sous le bas empire, in Annales Econ Soc Civil. 1950. Janv-Mars n°1. Imprimerie Willaume 1951.
- CIL. V. 9676.
Falbe (C. T.), 1833, Recherches sur l'emplacement de Carthage, l'imprimerie royale, Paris.
- Fevier, P.A,1985, Approches du Maghreb Romain, edisud, Aix en provence, T2.
- Goodchild, R.A.& WardPerkina, J.B. 1949, The limes Tripollitanus in the light of Recent Discoveries, J.R.S, vol.39, 1949.
- Gsell, S, 1920, History Ancienne Afrique du Nord, T.v, paris.
- Historia Augsta, Severus,18.3.
- Kehoe, D.1988, The Economics of Agriculture on the Roman Imperia Estates in North Africa, Gottingen.
- Legale, M., 1990 Rome Grsndeur ET Chutte de l'empire,ed,perin, paris.
- Livy,T . I.38.vii.3.
- Mattingly, D.J. 1988a, 1988a. Megalithic madness and measurement. Or how many olives could an olive press press ؟*Oxford Journal of Archeology* (2)7.
- 1993**, Maximum** figures and maximizing strategies of oil production? Further thoughts on the processing capacity of Roman olive presses. Amouretti and Brun 1993.
- Mespoulet, M., 1892, l'Inscription, d'Ain; Ouassel, Nouv, Revue de Droit Français, Mars- Avril.
- Picard,G.C. 1957, Civtas Mactariana,vol.8, Karthago.
- Robert, L.,1980, le vin Africain à l'époque impériale, in: Ant.Af., N°16.
- Soyer ,J., 1973, Les cadastres de la région de Saint-Donat (Algérie), in: Ant. Af. , N°7.
- Tacite, 1965, Annales, LIV, Trad, Burnouf, Paris.
- Trousset, P., 1978, les bornes du bled Segui. Nouveaux aperçus sur la centuriation romaine du Sud Tunisien, in Ant. Af. , N°12.

خامساً: المجلات والدوريات:

- الجراري، محمد الطاهر، 1982، موقف القبائل الليبية من الغزو الروماني، مجلة الثقافة العربية، العدد 7، اللجنة الإدارية للأعلام، بنغازي.

- المسعودي، آسيا، 1994، إنشاء وتطور المرافق الأساسية للتجارة الرومانية، حوليات جامعة الجزائر.

-إسمية، مصباح علي أحمد، 2020، الاستيطان في منطقة ما دون الصحراء في إقليم طرابلس في العهد الروماني، مجلة جامعة الزيتونة، عدد 36، ديسمبر، ترهونة.

- انديشة، احمد محمد، 2015، الإمبراطورية الرومانية والقمح، مجلة البحوث الأكاديمية الليبية، العدد الثالث، مصراتة.

- حمداش، فهمية، 2016، الحياة الاقتصادية في إفريقيا البروقنصلية من خلال المواد الأثرية، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، العدد10.

- شنيتي، محمد البشير، 1987، التوسع الزراعي الروماني وظاهرة البداوة في الجزائر القديمة، مجلة التاريخ، عدد23، الجزائر.

- 1992، وضعية الأرض واستغلالها في بلاد المغرب في العهد الروماني وبداية العهد الإسلامي، مجلة دراسات تاريخية، العددان 43 -44، جامعة دمشق.

- عيسى، محمد على، 1992، تبليط شوارع مدينة لبده وثورة تاكفاريناس، مجلة أثار العرب، عدد5، سبتمر، طرابلس.

- 1993 -1994، الحياة العامة في المدن الثلاث، مجلة أثار العرب، عدد7 -8، – سبتمبر الدار الليبية للنشر والتوزيع، مصراته.

سادساً: الرسائل العلمية الغير منشورة:

- الحداد، مفتاح احمد، 2002، التاريخ السياسي والاقتصادي لولاية إفريقيا البروقنصلية 27ق.م -235م، جامعة طرابلس.

- باحمد، سعيد، 2009، الأنونة في المغرب الروماني 146ق.م 235م، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعي، جامعة الجزائر، رسالة ماجستير غير منشورة.

- بشاري، محمد الحبيب، 2007، دور المقاطعات الافريقية القديمة خلال الفترة الرومانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، أطروحة دكتوراه غير منشورة.

- بورني، دليلة، 2001، تطور النظام الضريبي في شمال افريفيا، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، رسالة ماجستير غير منشورة.

- تريعة، السعيد، 2016، الزراعة والري جنوب الأوراس في الفترة القديمة من خلال المخلفات الأثرية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، أطروحة دكتوراه غير منشورة.

- خنيش، عبد الفتاح، 2013، التوسع الزراعي في إفريقيا القديمة خلال الفترة الرومانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسطنطنية2، رسالة ماجستير غير منشورة.

- سراج، نجمة، 2008، الكروم والخمر في الجزائر القديمة – معطيات اثريه وايكونغرافية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، رسالة ماجستير غير منشورة.

- صغيري، هدى، 2020، المنشآت الاقتصادية في بلاد المغرب القديم خلال العهد السيفيري 193 – 235، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حمه لخضر، الوادي، رسالة ماجستير غير منشورة.

- مجيد، سعد يونس، 2007، النظم الإدارية والمالية في ولاية إفريقيا الرومانية 146 ق.م 248 م، كلية الآداب والعلوم ترهونة، جامعة المرقب، رسالة ماجستير غير منشورة.